

الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي

الملاحم العامة للمطامع الاستعمارية  
في الخليج العربي بين القرنين  
السادس عشر والعشرين

بحث

القي في مؤتمر تاريخ شرق الجزيرة العربية  
المعقد في قطر/الدوحة بين ٢١-٢٧ آذار ١٩٧٧

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

ان المتبع لتاريخ العرب الحديث والمعاصر يرى أن ماشهدته الأمة العربية من تجزئة واحتلال يعود لما للوطن العربي من موقع ستراتيجي مهم جعله يتحكم ويشرف على معظم طرق المواصلات العالمية الرئيسية واهم ممراته المائية وماحتوته أرضه من خيرات وثروات هائلة جعلته حلم الطامعين وعرضته لغزو مستمر .

### التكوين الاقليمي للخليج العربي :

يشكل الخليج العربي الجناح الشرقي من الوطن العربي والذي تعاضمت أهميته خاصة بعد أن قويت حركة الاستكشافات الجغرافية . وقد تركزت هذه الاهمية بسبب موقعه على الطرق البحرية التي تربط بين آسيا وأفريقيا بواسطة البحر الأحمر والمحيط الهندي . وهو نقطة توزيع في المواصلات العالمية المؤدية إلى أجزاء العالم عن طريق موانئه البحرية والجوية ، ونتاجه الوفير لمواد الطاقة الاساسية (النفط) وتملكه أضخم مخزون احتياطي من هذه الطاقة (١) . ولهذا الأسباب أصبح أكثر مناطق العالم تأثيراً بالاحداث العالمية والصراع الدولي وأصبح أساساً للمجابهة العسكرية والسياسية والاقتصادية بين عوامل حركة التحرر العربي الصاعدة وبين القوى الامبريالية والرجعية العربية التي تعمل على تكبير المنطقة العربية باغلال السيطرة والتبعية (٢) .

ويشكل الخليج العربي الامتداد البحري الكبير الذي يخرج من المحيط الهندي من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، حيث يجتمع بالقرب منه نهر دجلة والفرات مكونين شط العرب وتباين سواحل هذا الخليج من حيث ظروفها الجغرافية ، فالساحل الشرقي ضيق تطل عليه سلاسل جبلية عالية ومعظم سكانه من العرب الذين قدموا اليه من الساحل الغربي نتيجة لبعض الحركات التاريخية، أما الساحل الغربي للخليج العربي فيمتد من شط العرب في الشمال حتى رأس الحد

(١) توفيق اليوزبكي وآخرون : دراسات في الوطن العربي ( الحركات الثورية والسياسية)

ط ١ ص ٢٧٤ .

(٢) سيد نوفل : الخليج العربي ص ١٦ .

في الجنوب ، ويضم كلا من العراق والكويت والبحرين وقطر ودولة اتحاد الامارات العربية وعمان وتتناثر على امتداده الكثير من الجزر العربية (١) .

لقد حاول الكثير من الباحثين الاجانب تجاوز اعتبار العراق والسعودية ضمن الاقطار الخليجية ، وإذا ما عدت السعودية ضمن دول الخليج العربي في مؤلفات عديدة فان العراق الذي يشكل امتدادا شماليا للخليج قلما نجد له ذكراً في بعض المؤلفات التي تعرضت لتاريخ الخليج ، إذ يحاول الكثيرون تجاهله بحجة أن منفذه الى الخليج محدود ، ويبدو أن ذلك الاتجاه مقصود منه عزل العراق عن اداء دوره الطبيعي القومي في الخليج العربي ، وقد أشيع لدى الكثير من أبناء الخليج العربي أوهام « الاطماع العراقية في الخليج » وهي في الحقيقة أوهام ومخاوف أوجدها الاستعمار وعملاؤه وغذاها لقطع صلة العراق الوطني والقومي بالخليج ، وعزله عن التأثير في مصير الخليج ومستقبله في وقت الزم العراق نفسه بعد ثورة ١٧ تموز / ١٩٦٨ أن ينطلق من مواقع الشعور بالمسؤولية القومية ومن المصلحة العربية العليا وان يدفعه الحقيقي والاساسي - أولاً وآخراً - الحفاظ على عروبة الخليج وصيانتها من المخاطر المحدقة (٢) به وتهدف هذه الصيغة إلى سد المنفذ الجنوبي الوحيد للعراق الذي ينتهج سياسة تقدمية معادية للاستعمار ووضع الحواجز أمام دعمه للشعب العربي في الخليج ، واستمرار الامبريالية العالمية في سرقة ثروات المنطقة المعدنية (٣) .

### اهمية الخليج العربي :

لقد اكتسب الخليج العربي أهمية استثنائية على مر العصور ، فلطالما جذب الانظار اليه بسبب أهمية موقعه وكثرة خيراته ، ولطالما كان حلقة اتصال بين

(١) بدر الدين عباس الخصوسي : الخليج العربي والمطامع الاستعمارية، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للتاريخ المنعقد ببغداد/ ١٩٧٣ .

(٢) مصطفى عبد القادر النجار ، الخليج العربي ، دراسة لتاريخه المعاصر ، مجلة الخليج العربي العدد الثالث ١٩٧٥ ، ص ١٣٧ .

(٣) الاستراتيجية الانكلو امريكية ومرتكزاتها في الخليج العربي : منشورات وزارة الاعلام العراقية، بغداد ١٩٧٢ ، ص ٢٤ - ٢٥ .

دول العالم القديم وهو الطريق الى الهند والشرق الاقصى ، وهو زيادة على ذلك عريق في حضارته وتراثه ، كما أنه يزخر بالثروات الاقتصادية .

ولقد أيدت المكتشفات الاثرية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الخليج ، آثار الانسان العربي الذي عاش على سواحله منذ العصور القديمة . كما جاء ذكر أقوام عربية مدونا في الواح السومريين . وهذا يدفعنا إلى القول بأن العرب هم شعب هذا الساحل منذ العصور القديمة . كما أن الشعب المعيني والذي تطورت حضارته في اليمن كان في الأصل من البحرين (١).

ولكن بعد سقوط الدولة الكلدانية وسقوط بابل على يد الأخمينيين سنة ٥٣٨ ق.م بقي الخليج العربي بعيداً عن تحديات هذه الدولة . لأنها لم تكن ذات عناية أو أثر واضح على الخليج العربي . وبمجيء الاسكندر الكبير إلى العراق تبلورت الأطماع الأجنبية بصورة واضحة في الخليج العربي بمشاريعه التي جاء بها لاكتشاف سواحل الخليج العربي (٢) عندئذ برزت أهميته بصورة خاصة خلال الربع الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد وذلك عندما غزا الاسكندر الأكبر بلاد فارس ، إذ ينسب لحملة تلك فضل الكشف عن شواطئ الخليج ، ففي أثناء عودته من الهند وجه قائد اسطوله البحري سنة ٣٢٤ ق.م . رموس الى استطلاع الجانب الشرقي من الخليج العربي واحتلال جزر مضيق هرمز والسيطرة عليها لما لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية (٣) . ثم تزايدت أهمية الخليج بعد ذلك خلال العصور التاريخية القديمة والوسطى . الا أنه حظي منذ مطلع العصور الحديثة باهتمام القوى الاستعمارية والامبريالية . فلقد أشار الاميرال ماهان الى أهمية الخليج العربي في الصراع الاوربي الدولي بالنسبة لستراتيجية الولايات المتحدة الامريكية

(١) منذ البكر وآخرون ، صور من المقاومة العربية للاطماع الاجنبية في الخليج العربي ، بحث القي في المؤتمر الدولي للتاريخ ببغداد ١٩٧٣ ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢

(٣) للتفاصيل انظر : الخصوصي ، المصدر السابق ص ٢/ سيد نوفل ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، هادي طعمة ، الخليج العربي في الاستراتيجيات الاستعمارية ص ٤٥ .

وركز على « أطماع » روسيا في الاقطار العربية من جهة والمصالح البريطانية من جهة أخرى (١) .

أما السياسي البريطاني « ريمونداوشي » فقد اوضح في كتابه ( ملوك الرمال في عمان ) أهمية الخليج بالنسبة للستراتيجية البريطانية بقوله :  
« ان الخليج العربي شريان الحياة الرئيسي بالنسبة لبريطانيا، وقد أكد اكتشاف النفط وتقدم الطيران هذه الحقيقة وسيظل الخليج يسيطر على استراتيجيتنا ، فهو يتوسط جميع خطوطنا البحرية والجوية الى الشرق ، ويحوي الموانئ والمراكز البحرية ومحطات الوقود لاساطيلنا وبواخرنا وطائراتنا والدول التي تستولي على الخليج وعلى ساحل عمان ، تستطيع أن تحكم جزيرة العرب والعراق وايران وافريقيا ، وتستطيع أن تغلق قناة السويس ، وان تقطع خطوط المواصلات الجوية والبحرية الى الهند وافريقيا ، وإذا قامت في الخليج دولة معادية فانها تستطيع أن تدق المسامير الأخير في نعش النفوذ البريطاني بجنوبي البحر المتوسط كله » (٢) .

كما أولى الالمان موقع الخليج العربي اهتماما بالغا بوصفه نقطة النهاية بالنسبة لمشروعهم المعروف « سكة حديد بغداد » ، وكذلك حصلوا على امتياز من حكومة طهران لبناء طريق من طهران الى خانقين يتصل ببغداد فالبصرة لتحقيق الوصول الى الكويت (٣) .

أما بالنسبة للستراتيجية الفرنسية ، فقد عبر السفير الفرنسي في لندن عن وجهة نظر حكومته بقوله : ان على بريطانيا أن تفسح المجال للالمان والفرنسيين لبناء سكة حديد من الاناضول الى بغداد فالخليج العربي (٤) .

- 
- (١) الداود : الخليج العربي والعلاقات الدولية ص ١٥١ .
  - (٢) سيد نوفل ، الخليج العربي ، ص ٤٩ .
  - (٣) الداود ، الخليج العربي ص ١٦٥ .
  - (٤) المصدر السابق ص ١٦٨ .

لقد وضع ظهور النفط في الخليج العربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين المنطقة جميعها في دائرة الصراعات والتنافسات الدولية وذلك لما للنفط من أهمية كبيرة في الصناعة وآلات النقل والحرب لدى الدول الصناعية الاستعمارية فلم تعد هذه المنطقة موطناً لاستخراج اللؤلؤ، ولا منطلقاً إلى الشرق، ولا معبراً إلى الهند فحسب بل أصبحت مصدراً مهماً من مصادر الطاقة في العالم، وقد لعبت هذه المنطقة دوراً مهماً في تقرير سياسة العالم، واخذت الدول الاستعمارية تتكالب للسيطرة عليه والحصول على امتيازات استغلال النفط فيه، فأخذت تتصارع فيما بينها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لاحتكاره ولحأت هذه الدول إلى التحرك عسكرياً في الخليج وفي مداخله فأنشأوا القواعد العسكرية في هرمز والبحرين والشارقة ومسقط وعمان والظهران وأقاموا الاحلاف العسكرية للوقوف بوجه حركة الثورة العربية والمقاومة العربية في الخليج التي أصبحت تهدد المصالح الاستعمارية والوجود الاستعماري فيه (١).

وبقدر ماترك ظهور النفط من نتائج حسنة على مواقع المنطقة الاقتصادي والاجتماعي إلا أنه قوى الشعور الذاتي الاقليمي عند بعض المشيخات والامارات مما قد يكون معرقلاً لقضية الوحدة. ومن ناحية أخرى ادى النفط إلى ظهور طبقات جديدة في المجتمع حلت ببطء محل النظام الاقطاعي القبلي. ونعني بذلك طبقتي المجتمع الحديث: البرجوازية والعاملة الامر الذي أدى إلى تنامي الحركة الوطنية في أقطار عديدة من الخليج العربي (٢).

أما مضيق هرمز فقد لعب دوراً كبيراً في مرور التجارة ومواد الطاقة حيث أن ما يقرب من ٨٦٪ من نفط المنطقة يمر عبر هذا المضيق (٣). وان معظم تلك الكميات كانت تجهز لتغطية نفقات الحركات العسكرية المجابهة للثورات التحررية العالمية ولاسيما في فيتنام ولاوس وكمبوديا وجنوب

(١) الجنابي: من تاريخ الخليج العربي ص ٧٣.

(٢) منذر البكر وآخرون: صور من المقاومة العربية للاطماع الاجنبية في الخليج العربي، معاصرة القيت في المؤتمر الدولي للتاريخ في بغداد آذار ١٩٧٣.

(٣) الجنابي: من تاريخ الخليج العربي ص ٦٩.

أفريقيا وغيرها (١). فقد بلغت كمية النفط المنتج من الخليج العربي عام ١٩٧٠ بما يقرب من ٦٠٠ مليون طن وان ماتحصل عليه انكلتره وحدها من أرباح عوائد النفط يقرب من ألف مليون جنيه اضافة إلى أن لبريطانية (٩٠٠) مليون جنيه مستثمرة في المنطقة (٢). كما يشكل نفط الشرق الاوسط ٨٥٪ من احتياطي النفط العالمي بضمنها ٧٠٪ من هذا الاحتياطي الهائل يشكله النفط العربي ، وتستهلك اوربا الغربية وحدها ٨٥٪ من النفط العربي المصدر (٣).

اما الولايات المتحدة فقد استوردت بشكل مباشر او غير مباشر ٢٠٪ من انتاج الاوبك من النفط في العام ١٩٧٦ - اي بمقدار ٦/١ مليون برميل يومياً و١٥٪ من النفط الذي انتجته منظمة البلدان العربية المصدرة للنفط ( اوبك ) . وهذا يعني زيادة في الاستيراد بلغت ١٨٪ و١١٪ على التوالي عن استيراد عام ١٩٧٥ وقد ارتفع مجموع استيرادات الولايات المتحدة المباشرة وغير المباشرة من النفط العربي بنسبة ٥٥٪ لتصل الى ٢/٨ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٦ (٤).

إذا كان النفط العربي يلعب دوراً خطيراً في الاقتصاد العالمي ، وفي حياة الشعوب الغربية خاصة فان ذلك يتطلب العمل على وضع سياسة عربية موحدة لتعكس آثارها السياسية والاقتصادية على الوضع السياسي للوطن العربي وعلى الاقتصاد القومي العربي وتطوره . (٥)

وانطلاقاً من هذا التصور العلمي الدقيق لاهمية النفط وضعت القيادة السياسية في القطر العراقي شعار « نفط العرب للعرب » موضع التطبيق واعتبرت تأميم النفط هدفاً ستراتيجياً من أهداف الثورة العربية . فكان قرار التأميم في العراق ابتداء من الأول من حزيران ١٩٧٢ ذا بعد قومي ودولي . إذ أسهم اسهاماً فعالاً في الكشف عن أزمة الطاقة في العالم الغربي وتبيان ابعادها السياسية والستراتيجية الخطيرة فهو بحق بداية مرحلة دولية جديدة تفتح الآفاق أمام

(١) طعمة : الخليج العربي ص ٤٧ .

(٢) الجنابي : ص ٧٠ .

(٣) العزي : الخليج العربي في ماضيه وحاضره ص ٠٨٨ .

(٤) مجلة النفط والتشنيه ، السنة ٢ العدد ٩ حزيران ١٩٧٧ ص ١٣٣ - ١٣٤

(٥) المصدر السابق ص ٩٢ .



وقوع تغييرات جذرية في موازين القوى في العالم لصالح حركة الشعوب. كما كان أول ضربة حاسمة وجذرية يوجهها الشعب العربي للامبريالية العالمية (١).

### مراحل التغلغل الاستعماري في الخليج العربي

ان من جملة عوامل التنافس الاستعماري بين الدول الاوربية خاصة هو اكتشاف قارات جديدة (الامريكيتين) واجزاء مهمة من القارات القديمة (في اسيا وافريقيا) لم تكن معروفة من قبل وقد ادى ذلك الى زيادة موارد الدول الاوربية التجارية التي راحت تبحث عن الموارد والمواد الاولية واحتكار الطرق المؤدية اليها ، ومما زاد في حدة التنافس بينها انتشار الثورة الصناعية وتطورها في الاقطار الاوربية ، وتطور وسائل النقل والانتاج دفعتها الى التسابق في استعمار البلدان التي تكثر فيها هذه المواد واتخاذها سوقا لتصريف السلع الفائضة وتشغيل الرساميل المتولدة من الصناعة في انتاج المواد الخام والقيام بمشاريع في المستعمرات .

ولقد اندفع الاوريون بحماس كبير يجوبون بحار العالم ومحيطاته منذ بداية العصور الحديثة بحثا عن طريق توصلهم الى الشرق . وبينما اتجه الاسبان في توسعهم الى الامريكيتين بصورة خاصة ، نجح البرتغاليون في اقامة امبراطورية متسعة الارحاء في اسيا وافريقيا . وقد احكموا سيطرتهم على البحار والممرات المائية المؤدية اليها .

ولم يكن التوسع البرتغالي سوى البداية . ففي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت هناك شعوب اوربية اخرى ( وهم الانكليز والفرنسيون والهولنديون ) تتحضر لمشاركة البرتغاليين في مكاسبهم السابقة ، بل حرمانهم منها ان امكن ذلك . وساندت حكومات تلك الشعوب المستكشفين ومنحتهم تسهيلات وامتيازات سخية . وقام التجار بتأسيس شركات احتكارية تتولى الاستكشاف والمتاجرة مع انحاء العالم المختلفة .

(١) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ، كانون الثاني ١٩٧٤ ، ص ٦١ - ٦٢ .

ومع ان منطقة الخليج العربي كانت مطمح انظار الاوربيين وموضع اهتمامهم منذ بداية حركة التوسع الاوربي ، الا ان سكانها - كما سئرى - نجحوا حتى مطلع القرن التاسع عشر في الحيلولة دون ترسيخ اقدام الاوربيين فيها (١). وكان بإمكان العثمانيين الذين ترجع اهتماماتهم بالخليج العربي منذ فتحهم العراق سنة ١٥٣٤ (٢) أن يلعبوا دوراً مهماً في الخليج العربي (٣). إلا أنهم منذ اندحارهم أمام البرتغاليين في سلسلة المعارك البحرية التي استمرت حتى أوائل النصف الثاني من القرن السادس عشر (٤). لم يلعبوا دوراً ذا بال في هذه الانحاء . لذا فسوف نركز على تتبع التغلغل الأوربي وردود الفعل العربية عليه .

لقد بدأ الخطر البرتغالي يقرب من الخليج العربي منذ نجاحهم الجغرافي في اكتشاف رأس الرجاء الصالح والدوران حوله والوصول إلى مناهل الشرق لأول مرة عبر ذلك الطريق إذ اكتشف بارتلييو نيبازينة ١٤٨٨ ذلك الرأس ثم دار حوله فاسكوديكاما سنة ١٤٩٧ حيث الساحل الأفريقي الشرقي (مدغشقر) منطلق سنة ١٤٩٨ إلى كاليكوت في الهند بارشاد الملاح العربي أحمد بن ماجد الملقب بـ (أسد البحر) حيث وصلها سنة ١٤٩٩ وعاد في نفس السنة إلى لشبونة

- 
- (١) عبد الامير محمد امين ، دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي محاضرة القيت في المؤتمر الدولي للتاريخ ، آذار ١٩٧٣
- (٢) وجه العثمانيون بعد استيلائهم على مصر حملات عديدة إلى منطقة الخليج العربي لمقاومة البرتغاليين . وكان حاكم كوجرات و امبراطور دلهي المسلم وحاكم القطيف العربي قد استنجدوا بالسلطان سليمان القانوني الذي امر واليه في مصر سليمان باشا بالتوجه نحو منطقة الخليج العربي لطرد البرتغاليين ، وبالفعل استطاعت الحملة تحرير سواحل عدن واليمن ومسقط واستولت على البحرين والاحساء والقطيف واصبحت هذه المناطق عثمانية منذ سنة ١٥٥٥ بينما بقيت المراكز الاخرى كهرمز تحت النفوذ البرتغالي ، الا أن المجهودات العثمانية لم تستمر . المتفاصيل انظر : خالد العزي ، الخليج العربي ماضيه وحاضره ، بغداد ١٩٧٢ ، ص ٣٩ .
- (٣) عن تفاصيل المعارك البحرية بين العثمانيين والبرتغاليين انظر : اسماعيل سرهنك حقائق الأخبار عن دول البحار ، ( القاهرة ، ١٣١٢ هـ ) ج ١ ، ص ٥٤٧ - ٥٥٠ . وكذلك لوريمون ، دليل الخليج ، ج ١ ، ص ٥ - ٦ .
- (٤) انظر : صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ١٨٤٧ - ١٨٢٠ . بغداد ١٩٧٦ ص ٢٠

بسفينة واحدة من أصل ثلاث وقد غطت أرباح التوابل المحمولة بها نفقات الحملة بما يربو على الستين ضعفا .

وقد عاد المكتشف البرتغالي على نفس الطريق عام ١٥٠٢م ومعه قوة بحرية من اجل اقامة مراكز حربية بين افريقيا والهند ، وللقضاء على التجارة العربية في البحر الاحمر والمحيط الهندي والخليج العربي ، وتولى ( الفونسو البوكيرك ) قيادة البحرية البرتغالية التي قامت باحراق الموانئ العربية التي مروا بها ، واغراق السفن التجارية ، تمهيدا لاقامة امبراطورية برتغالية في الشرق (١) . وعمد الاسطول البرتغالي إلى التغلغل في البحر الاحمر والخليج العربي تمهيدا لغزو الخليج فاحتل الاسطول البرتغالي جزيرة سقطرة ، وجزيرة قشم وسد منافذ البحر الاحمر (٢) بوجه التجار العرب وسفنهم . وفي عام ١٥٠٦م هاجم الاسطول البرتغالي جزيرة هرمز في مضيق هرمز واحتلها ثم اتجه إلى مسقط ودمرها بعد مقاومة عنيفة من سكانها وتابع البرتغاليون زحفهم على سواحل عمان فاستولوا على مدنها . كما هاجموا البحرين واستولوا عليها واخذوا يبنون القلاع على سواحلها (٣) . وقد ظل البرتغاليون في البحرين قرنا كاملا حتى اخرجهم العرب والفرس منها سنة ١٦٣٢ ثم تحررت من النفوذ الفارسي عام ١٧٨٣ (٤) .

بدأ النفوذ البرتغالي يضعف ويتدهور منذ اوائل القرن السابع عشر بسبب استمرار المقاومة العربية للنفوذ البرتغالي ، فقاموا بسلسلة من الثورات والانتفاضات الوطنية

---

(١) محمود بهجت ستان : البحرين درة الخليج العربي ، دار الفكر بدمشق ١٩٦٢ ،

(٢) طه : الصراع على الخليج ص ٢٨ ،

(٣) العزى : الخليج العربي ص ٢٣٦ .

(٤) طه : نفس المصدر السابق ص ٣٣ .

التي اودت احداها في عام ١٥٢٨ م بقتل اخي نائب الملك البرتغالي بالهند في البحرين واضطر البرتغاليون الى الجلاء عن بعض مناطق الخليج (١). لقد شهدت الفترة بين ١٦٤٠ - ١٦٤٩ ثورات عنيفة ضد الوجود البرتغالي في الخليج بسبب تعصبهم الديني وقساوتهم الى جانب جشع حكامهم وموظفيهم مما جعلهم مكروهين بين سكان الخليج (٢). فاستولى سلطان عثمان على صحار وفي خلال الفترة بين ١٦٤٨ - ١٦٤٩ م حاصر العرب مسقط واستولوا عليها، وفي عام ١٦٥٠ م فقد البرتغاليون جميع مراكزهم في عمان بسبب تنامي روح المقاومة العربية لدى العرب في عهد اليعاربة (٣) هذا بالإضافة الى ظهور قوى اوربية اخرى منافسة للبرتغاليين وهم الانكليز والهولنديون ولكي يحتفظ البرتغاليون بقبضتهم على التجارة حاولوا منع السفن الاجنبية من الملاحة في هذه الجهات دون الحصول على اذن مرور من السلطات البرتغالية، وقد اثار هذا الاجراء معارضة شديدة بين وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية التي أسست في ٣١/كانون الاول/١٦٠٠ م الذين عولوا على انتهاز اى فرصة مواتية لسلب سيادة البرتغاليين على الخليج فاصطدم الانكليز بهم وحاول الهولنديون والفرس اخراجهم من هرمز . (٤) وزال نفوذهم نهائيا في عام ١٦٨٩ م من منطقة الخليج العربي (٥).

برزت هولندا على المسرح الاستعماري بعد قيام اسبانيا باغلاق موانئها بوجه التجار الهولنديين الذين اخذوا يبحثون بانفسهم عن طريق جديد يوصلهم

(١) نوفل : الخليج العربي ص ٢٢ .

(٢) Abdul Amir Amine, British interist in the Persian Gulf, P.2.

(٣) العابد : دور القواسم في الخليج العربي ص ٢٣ .

(٤) Kalley , J . B, Britain and the Persian Gulf P.8.

(٥) الداود : الخليج العربي ص ١٧ .

إلى الشرق فارسلوا عدة بعثات استكشافية كان أهمها البعثة التي قادها ( بان فان لتشوتن ) الذي وصل الهند عام ١٥٨٣ م وتبعها بعثات استكشافية أخرى في الفترة الواقعة بين ١٥٨٩ - ١٦١٤ م استطاعت ان تصل إلى الهند وجزر الهند الشرقية والملايو واندونيسيا وأستراليا (١) . ولضمان السيطرة على مناطق نفوذهم في جنوب شرقي اسيا والهند واستولوا على بعض المواقع في الخليج العربي وركزوا نشاطهم الاستعماري في ايران فاستطاعوا عام ١٦٤٥ م من الحصول على امتياز تصدير الحرير من ايران دون ضرائب ، وواصلوا نفوذهم في الخليج وبلغ ذروته في عام ١٦٤٩ م حين حصلوا من السلطان العثماني على ترخيص بالمجارة مع الموانئ العربية الخاضعة للسلطان العثماني ، مما أدى إلى تهديد المصالح البريطانية وقيام سلسلة من الحروب بين الهولنديين والانكليز ١٦٥٤ - ١٦٦٥ م انتهت بعقد الصلح بينهما (٢) لم يؤد ابعاد البرتغاليين عن منطقة الخليج إلى تخلص الانكليز من المنافسة السياسية والتجارية لانه مع تدهور قوة البرتغاليين كانت قوة الهولنديين تتزايد سريعاً وقد عمد الهولنديون إلى اتباع اساليب الرشوة ، ورفع اسعار السلع لدى فارش لزحزحة الانكليز من منطقة الخليج ، وبدلاً من اتباع سياسة التعاون والتحالف مع الانكليز سعى الهولنديون للحصول وحدهم على الافضلية التي استمرت حتى نهاية القرن السابع عشر عندما اخذ النفوذ البريطاني ينمو على حساب الهولنديين ، ثم لم يلبث ان تحول هذه التنافس إلى صراع مسلح انتهى بتحطيم الاساطيل الهولندية على يد الفرنسيين فجاء ذلك ضربة قاضية لتجارتهم في الخليج ، ومن ثم فقدوا نفوذهم نهائياً في منتصف القرن الثامن عشر (٣) .

(١) طه : الصراع على الخليج ص ٤١ وما بعدها .

(٢) العزبي : الخليج العربي ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩ .

وكان للتحالف البريطاني - الإيراني دور كبير ، في اضعاف النفوذ الهولندي في الخليج حيث كرهت السلطات الإيرانية اساليب الهولنديين الدبلوماسية والعسكرية (١) واضطر الهولنديون إلى الانسحاب من بندر عباس عام ١٧٣٠ م ومن البصرة عام ١٧٥٢ م وفي بقية اجزاء الخليج العربي وبلاد ايران عام ١٧٦٥ م (٢) وبذلك خلا البحر للنفوذ البريطاني في مناطق الخليج العربي .

يعود اتصال الانكليز بالخليج العربي إلى عام ١٥٨٣ م عندما ارسلت اربعة من المغامرين قاموا برحلة من طرابلس على البحر المتوسط ، وانحدروا في نهر الفرات حتى مدينة الفلوجة ، ومنها انتقلوا إلى بغداد فالبصرة ، ثم دخلوا الخليج العربي حتى وصلوا جزيرة هرمز وبعد هذه المحاولة ازداد اهتمام الانكليز بالشرق ، فأسست ( شركة الهند الشرقية البريطانية ) في ٣١ / كانون الاول / عام ١٦٠٠ م ، ومن هناك بدأ الاخطبوط الانكليزي يمد اصابعه إلى المشيخات العربية والعراق وايران المطلة على الخليج ( ٣ ) . واخذت شركة الهند الشرقية تنشط ليس في عملية نقل التجارة بين الهند واوروبا وانما اخذت تؤسس مراكز تجارية في الهند وايران وكان هدفها من الوصول إلى الخليج هو بيع الاصواف الانكليزية في ايران مقابل الحصول على الحرير (٤) . اضافة إلى قيامها بتجارة التوابل والاصباغ والشاي (٥) .

وفي نهاية القرن الثامن عشر ، وفي وقت اتساع مناطق النفوذ الروسي والفرنسي ارسلت بريطانيا عام ١٧٩٩ م قوة بحرية احتلت بها جزيرة بريم في مضيق باب

---

(١) الداود : الخليج العربي ص ١٧ .

(٢) العزي : الخليج في ماضيه وحاضره ص ٢٩ .

(٣) طه : الصراع على الخليج ص ٥٣ .

(٤) Amin , Op , Cit , p, 4 .

(٥) طه : ص ٥٥ .

المنذب ، واتخذتها بريطانية قاعدة لها للوثوب على جنوب الجزيرة العربية لتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند وتتبع ذلك محاولات عديدة لاحتلال عدن فاستطاعت عام ١٨٣٩ م من احتلالها وتعيين مقيم بريطاني عسكري فيها (١) . لاهميتها الاستراتيجية والتجارية من وجهة النظر البريطانية ولموقعها المهم في الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية على خليج عدن(٢) فلجأ الاستعمار البريطاني لتحقيق اغراضه في السيطرة على الخليج إلى ترسيخ التجزئة بعد ان قسمه إلى كيانات سياسية ضعيفة وإلى تغذية وتشجيع الحروب القبلية والخلافات العائلية بين حكام هذه الاجزاء وعمد إلى فرض المعاهدات الثنائية والجماعية التي مكنته من تثبيت هذا الواقع المجزأ ولكي يحكم الانكليز قبضتهم على الخليج اتخذوا لانفسهم شعارات ومبادئ انسانية مزيفة كرجبتهم في القضاء على القرصنة ومحاربة تجار الرقيق . وكانت تلك الشعارات سبيلا سلكته للوصول لفرض حمايتها على السفن التجارية وتفتيشها (٣) والاستيلاء على بعضها .

اما فرنسا فقد دخلت ميدان الصراع الاستعماري في الخليج العربي والهند لعوامل اقتصادية وسياسية وثقافية فمنذ سنة ١٦٢٦ م حصلت فرنسا من ايران على نفس الحقوق والامتيازات الممنوحة للدول الاوربية في ايران وفي عام ١٧٥٠ انشأ الفرنسيون وكالة تجارية في البصرة تحولت عام ١٧٦٥م إلى قنصلية (٤) . واخذ بعض العاملين في القنصلية يقومون بالاضافة إلى اعمالهم القنصلية ببعض النشاطات التبشيرية واعمال البحث والتنقيب عن الاثار (٥) . وظهر النشاط الفرنسي في عمان في اواخر القرن السابع عشر الا أن النشاط الفرنسي لم يتسم بالثبات لان ميدان الصراع الحربي بين بريطانيا وفرنسا كان

- 
- (١) نوفل : الخليج العربي ص٣١ .
  - (٢) الداود : الخليج العربي والعلاقات الدولية ص٨٥ .
  - (٣) بدر الدين عباس : الخليج العربي والمطامع الاستعمارية: بحث مقدم للمؤتمر التاريخي ببغداد عام ١٩٧٣ .
  - (٤) طه : الصراع على الخليج ص٥٦ .
  - (٥) لوريمر : دليل الخليج ج١ ص٢٦٧ .

في البحار الهندية ففي خلال حرب السنوات السبع ( ١٧٥٦ - ١٧٦٣ م ) نشطت السفن الحربية في توجيه الضربات للسفن البريطانية في مياه الخليج العربي ، لانه يمثل موقفا مركزيا في الطريق إلى الهند فقد اصبحت اهميته الاستراتيجية الخطيرة محط اهتمام متزايد من قبل بريطانيا لغايات دفاعية واقتصادية في حين كانت المخططات الفرنسية ترمي إلى توجيه ضربة مميتة لبريطانية بانتزاع الهند منها (١) . وقد عبر عن ذلك الباحث الفرنسي في الشؤون العربية ( جان جاك بيربي ) بقوله : ( وهذا الشرق العجيب الذي كثر عنه الحديث عن السنة الخبراء انما ينحصر اقله في الخليج العربي بصورة خاصة ، لان الخليج هو قلب الشرق الاوسط جغرافيا وبابه السحري وصندوقه الذهبي الرائع الذي يسيل له اللعاب ) (٢) وقد مثلت الفترة النابليونية ( ١٧٩٨ - ١٨١٠ م ) قمة الصراع البريطاني - الفرنسي لتحقيق التفوق الذي تسعى اليه الدولتان في الخليج وغيره فقد تركز النشاط البريطاني لضرب المخططات الفرنسية الرامية إلى الوثوب على الهند ، وكان النفوذ الفرنسي واضحا في عمان بعد ان حصلوا على موافقة امام عمان بانشاء مركز فرنسي في مسقط عام ١٧٩٩ م وخوفا من ان يمتد النفوذ الفرنسي إلى اجزاء اخرى من الخليج فقد اجرت حكومة الهند البريطانية اتصالات مع امام مسقط ، وشاه ايران لوضع اتفاقية سياسية كان الغرض منها ابعاد النفوذ الفرنسي عن اراضيها (٣) . ومن جانب ايران فقد حققت بريطانيا اهدافها في اقناع الشاه بان يعد للوقوف إلى جانب بريطانيا في حالة وقوع تحرك عسكري فرنسي باتجاه الخليج (٤) . وفي الوقت نفسه كان نابليون قد اعد خطه اخرى للوصول الى الشرق عن طريق القرات إلى العراق والانحدار نحو البصرة وتحصينها واتخاذها مقرا لجيوشه ولتدابيره السياسية والعسكرية في الخليج ، ولتنفيذ هذه الخطة قام بمفاوضة الاتراك وشاه ايران ولتفادي نجاح المخطط الفرنسي

(١) العابد : دور القواسم في الخليج العربي ص ١١٥ .

(٢) جان جاك بيربي : الخليج العربي ص ١٩٨ .

(٣) العابد : دور القواسم في الخليج العربي ص ١٩٨ .

(٤) Dkumer Ravidar, India and Persaian Gulf, 1858-1907 Indie 1965 P. 12.



شرعت بريطانية باحتلال عدن لأنها المفتاح الجنوبي لمدخل البحر الاحمر (١). واجتازت نهر الفرات إلى الخليج العربي وعقدت معاهدات صداقة وتحالف مع امام مسقط . وبعد زوال نابليون من المسرح السياسي استمر الصراع بين فرنسا وانكلترا واشتد في مدينة مسقط حتى توصل الطرفان إلى اتفاق في ١٨٦٢ م والذي تعهدتا باحترام استقلال مسقط ، واستطاعت بريطانيا عام ١٩٠٠ م من ايجاد نوع من العلاقة الحسنة مع امير مسقط وتمت السيطرة غير المباشرة عليها (٢) . اما بالنسبة لنشاط فرنسا في العراق ، فقد ظهرت بداياته الاولى منذ منتصف القرن السابع عشر . وتعتبر المصالح الفرنسية اقدم المصالح الاجنبية في العراق . وكانت تشمل على مصالح سياسية ودينية واثرية . فاما المصالح السياسية فقد سعت فرنسا إلى تأسيس نفوذ لها في العراق لاسيما في القسم الجنوبي منه . وحاولت الحد من تصاعد النفوذ البريطاني في العراق وفي الخليج العربي . وكان لفرنسا منذ مطلع القرن التاسع عشر مركز قنصلي في كل من بغداد والبصرة والموصل .

اما المصالح الثقافية والعربية والاثرية فقد تناولت نشر الثقافة الفرنسية في العراق عن طريق المدارس التبشيرية . كما اشتملت على اجراء تنقيبات في ارجاء مختلفة من العراق (٣) . استطاع عرب الخليج ان يستعيدوا مجدهم البحري سواء في مسقط وعمان او في البحرين وقطر والكويت في الوقت الذي كان الانكليز قد ركزوا جهودهم في مقاومة نابليون في اوربا وتصفية مشاكلهم في الهند ، ولم تتحقق للانكليز السيطرة على الخليج الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٤) . اما روسيا فقد اخذت تبدي اهتماماً واضحاً بمنطقة الخليج العربي من اواخر العقد التاسع من القرن التاسع عشر . لذلك اعتقد الانكليز بأن الخطر

(١) طه : الصراع على الخليج ص ٥٩ .

(٢) الجنابي : من تاريخ الخليج العربي ص ١٥ .

(٣) للتفاصيل انظر : جاسم محمد حسن ، العراق في العهد الحميري ١٨٧٦ - ١٩٠٩ ،

رسالة ماجستير قدمت لجامعة بغداد ١٩٧٦ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) الداود : الخليج العربي والعلاقات الدولية ص ١٨

الروسي المباشر على منطقة الخليج العربي انما يأتي من ايران حيث كانت روسيا قد بسطت نفوذها بشكل دائم على شمال ايران ، فقد تواردت للانكليز معلومات عن وجود عملاء روس في الكويت وبعثة روسية علمية (١) . لقد سعت روسيا إلى خلق نوع من الوفاق مع ايران لايجاد منفذ لها يمر في فارس إلى الخليج العربي مستفيدة من ( معاهدة كلستان ) ١٨١٣ م والتي انتزعت روسيا بموجبها بعض المناطق في شمال ايران ، وكانت روسيا منذ عهد بطرس الأكبر ترسم سياستها للوصول إلى الخليج عن طريق ايران والعراق . لقد اتخذ النشاط الروسي في منطقة الخليج العربي خلال العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر اشكالا متعددة بارسال العديد من الخبراء الروس إلى منطقة الخليج للتعرف على اصالح المناطق لكي تتخذها قواعد لارتكاز النفوذ الروسي فيها والسعي للحصول على امتياز مد السكك الحديدية وتنفيذ بعض مشاريع هذه السكك التي تهدف الربط بين روسيا والخليج العربي عبر الاراضي الايرانية ، وكذلك قيام بعض قطع الاسطول الروسي بالاجار إلى منطقة الخليج (٢) . ففي سنة ١٨٨٧ م ارسلت روسيا احد الضباط لتفقد منطقة الخليج العربي وفي ربيع عام ١٨٩٥ م اوفدت ضابطاً اخر إلى هرمز تمهيدا لاتخاذها مخزناً روسياً في منطقة الخليج (٣) . واقلقت تلك المحاولات الروسية الاوساط البريطانية ، فاعلنت بريطانيا في سنة ١٨٩٦ م بان اي تقدم لروسيا في منطقة الخليج سوف يقابل بمهاجمة بريطانيا منطقة عربستان لمنع تقدم روسيا إلى الخليج والمحيط الهندي ، واعلنت روسيا عن عدم اعترافها باي افضلية لبريطانيا في الخليج وان منطقة الخليج يجب ان تبقى ذات صبغة تجارية دولية . (٤) وإلى شيء من هذا القبيل يشير اللورد كرزون (٥) حيث يقول ان انشاء ميناء روسي على الخليج

(١) المصدر نفسه ص ٢٧ .

(٢) بدرالدين عباس الخليج العربي والاستعمار ص ٧ .

(٣) لوريمر : دليل الخليج ج ١ ص ٤٧٧ .

(٤) الجنابي : من تاريخ الخليج العربي ص ١٨ .

(٥) العقاد : الاستعمار في الخليج العربي .

هو حلم الروس ولكن مثل هذا الميناء سيكون عنصر الاضطراب في الخليج وقت السلم وسيفقد توازن القوى الذي وضعته بريطانيا بعد مجهود شاق كما انه سيلحق الضرر بتجارنا ... ) .

وكان الانكليز يفكرون في حالة استخدام لاحد مواليء الخليج سيساعدها على الاتصال بامراء الخليج واستمالتهم إلى جانبها ، وقد حدث ذلك فعلا حين حاول الروس الاتصال بالكويت وامير نجد عام ١٩٠٢ م (١) على ان عاملا جديدا ظهر على مسرح الصراع في الخليج ودفع روسيا وبريطانيا إلى ايقاف الصراع بينهما هو بروز النفوذ الالماني الذي اخذ يشق طريقه نحو العراق والخليج العربي . وقد وجدت بريطانيا وروسيا ان مصالحهما تقضي بالاتفاق على تقسيم ايران وقد تم ذلك في ١٢ / ايلول / ١٩٠٧ بالمذكرة التي تقدموا بها إلى ايران وسويت بمقتضاها الخلافات بينهما ، اذ قسمت ايران إلى ثلاثة مناطق تصبح الشمالية منها منطقة روسية في حين تخضع المنطقة الجنوبية منها للنفوذ البريطاني على الاتحاول اى من الدولتين الحصول على اية اتفاقات سياسية او تجارية في مناطق نفوذ الدول الاخرى واما المنطقة الثالثة ( الوسطى ) فتصبح محايدة وتشترك الدولتان في تقدير مايتعلق بشأنها(٢) وبمقتضى هذا الاتفاق ابعدت انكلترا الخطر الروسي عن الخليج اذا لم يبق لروسيا طريق للوصول اليها (٣).

ولم تظهر رغبة الاتحاد السوفيتي في الحصول على نفوذ لها في الخليج العربي الا في الفترة بين ١٩٣٩ - ١٩٤١ م حين اصر مولوتوف وزير الخارجية السوفيتي في محادثاته السرية مع روبرت وزير الخارجية الالمانية ان تكون جميع المناطق إلى الجنوب من باكوفي اتجاه الخليج العربي مناطق نفوذ روسية ،

---

(١) الجنابي : من تاريخ الخليج العربي ص ١٩ .

(٢) العقاد : التيارات السياسية في الخليج ص ٢٢٥ والتي بعدها ، وكذلك بدر الدين عباس

الخصوصي : الخليج العربي والاستعمار ص ٢١

(٣) بدر الدين عباس : الخليج العربي والاستعمار ص ١٢٠ .

ولكن الاحداث السياسية العالمية واعلان هتلر الحرب على الاتحاد السوفيتي تبرك موضوع الخليج العربي وثيقة تاريخية فقط (١) .

اما المانيا فقد وجدت نفسها انها تأخرت كثيرا عن الدول الاوربية في ميدان الاستعمار ولذلك اندفعت بقوة كبيرة في منافسة الدول الاوربية في استعمار افريقيا واسيا، فقد ركزت اهتمامها في آسيا بالدرجة الاولى على الدول العثمانية للاستحواذ على مافيهما من اسواق وخامات واستثمار رؤوس الاموال الالمانية في مناطق غير متطورة من الناحية الاقتصادية، وقد هيا التدهور الاقتصادي والارباك المالي في تركية مجالا واسعا امام الممولين الالمان للقيام بمدسكك الحديد وانشاء المصارف ومد خطوط البرق ففي سنة ١٨٨٨ م نجح البنك الالمني في التوقيع على اتفاقية مع تركية لمد سكك حديد حيدر باشا - انقره ، وكان من المقرر أن يمتد هذا الخط إلى ديار بكر والموصل وبغداد فالخليج العربي .

وفي عام ١٨٩٨ م توغل الراس المال الالمني في الولايات العثمانية فتأسس عام ١٨٩٩ م البنك الالمني الفلسطيني في القدس وفتحوا له فروعاً في غزة وحيفا ويافا والناصره وطرابلس وبيروت ودمشق وحلب (٢). وقد تراءى لدى السلطان العثماني بأن المانيا هي الدولة الوحيدة من دول اوربا الكبرى التي لا تهدف تقسيم الامبراطورية العثمانية بل على استعداد لانعاشها اقتصاديا (٣) .

لقد اثار حصول الالمان على امتياز سكة حديد بغداد موجة من القلق في الاوساط السياسية في بريطانيا وفرنسا وروسيا . واحسوا بالخطر على مصالحهم في الخليج لان خطورة المشروع تكمن ليس في وصول الخط إلى الخليج العربي وانما سيتبعه تعاظم النفوذ الالمني الاقتصادي والسياسي والعسكري في المنطقة (٤).

(١) الداود : الخليج العربي والعلاقات الدولية ص ١٥٠ .

(٢) طه : الصراع على الخليج ص ٨٨ - ٨٩ .

(٣) الداود : الخليج العربي ص ١٦٥ .

(٤) طه : الصراع على الخليج ص ٩١ .

فقد كانت السياسة البريطانية في هذه الفترة تقوم على الحفاظ على كيان الدولة العثمانية خوفاً من وقوعها بيد دولة أوربية قوية ، وذلك نظراً للأهمية الاستراتيجية التي تمتاز بها بلدان تركيا الآسيوية بالنسبة للتجارة البريطانية المارة بالعراق والخليج العربي ، كما تهدف السياسة البريطانية كذلك إلى منع روسيا من الوصول إلى المضائق والظهور في مياه البحر المتوسط (١) . وقد حاولت بريطانيا حل قضية سكة حديد بغداد بعد أن فشلت في منعها بعد الاتفاق مع السلطان العثماني على مركز الكويت في الخليج العربي ، وتوصل الطرفان في اتفاق ٢٩ / تموز / ١٩١٣ م على الاعتراف بالكويت جزءاً من الدولة العثمانية واعترف السلطان العثماني بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للكويت وتعهدت بريطانيا باعلان الحماية على الكويت واعطى لأمير الكويت صلاحيات مطلقة في الشؤون الداخلية للكويت (٢) وفي الخامس عشر من حزيران سنة ١٩١٤ م اتصلت انكلترا سرا بألمانيا واتفقت معها على اقتسام مناطق النفوذ في الامبراطورية العثمانية تعهدت بريطانيا بموجبها بمساندة مشروع السكة وان يتفاوض الطرفان حول ايصاله إلى الخليج العربي وتهدد الألمان بالكف عن انشاء ميناء لهم على الخليج العربي (٣) . أما روسيا فقد ابدت معارضتها للمشروع لأن آمالها في التوسع على حساب الامبراطورية العثمانية ولذلك سارع السفير الروسي في اسطنبول بإبلاغ السلطان العثماني بان حكومته تعتبر الخط تهديداً لممتلكاتها وكانت ألمانيا قد استطاعت في التاسع من آب سنة ١٩١١ م ان تعقد اتفاقاً مع روسيا تعهدت فيه روسيا بالكف عن مقاومة مشروع سكة حديد بغداد مقابل تعهد ألمانيا بعدم التدخل في شؤون ايران وعدم المساس بامتيازات روسيا في ايران (٤) . وفرنسا فقد توقفت عن

(1) Britain and The foreign state papers, 1877 - 8 , London 1885 p. 1314

(٢) الداود : الخليج العربي ص ٢٠٤ .

(٣) طه : الصراع على الخليج ص ٩٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٣ .

معارضة المشروع بعد ان اشتركت فيه وبعد ان منحها السلطان العثماني امتيازات مماثلة في سوريا وفلسطين (١).

وإلى جانب مشروع سكة حديد بغداد اخذت المانيا تسعى لايجاد علائق مختلفة مع اقطار الخليج العربي فافتتحت قنصليات في البصرة وابو شهر واخذت المؤسسات التجارية والمالية تقيم علاقات تجارية واقتصادية وتؤسس شركات النقل البحري بين الموانئ الاوربية وموانئ الخليج العربي (٢).

وكانت المانيا اسبق الدول الاوربية في البحث عن النفط في ولايتي بغداد والموصل العثمانيتين فقد حصلت على امتياز التنقيب عن النفط فيهما منذ عام ١٨٩٦ م وتبعها كل من بريطانيا و امريكا واصبح البحث عن النفط مرحلة جديدة من مراحل الصراع على الخليج اذ اتجه الصراع في اوائل القرن العشرين للسيطرة على منابع النفط وليس احتكار التجارة وطرق المواصلات (٣).

### موقف عرب الخليج من الغزو الاستعماري :

كان الوضع في الخليج العربي في أبان الغزو الاستعماري على اسوأ ما يكون بالنسبة للعرب والسيادة العربية وسبب ذلك يعود إلى ان المشيخات والامارات العربية في الخليج كانت متنافرة متناحرة فيما بينها تكيد الواحدة منها للآخرى اذ تتحالف مع القوى الاجنبية. فتحالف بعض الامارات العربية مع البرتغاليين ضد الامارات الاخرى كماحالف غيرهم الانكليز والفرس والفرنسيين والهولنديين ولم تستطع هذه الامارات والمشيخات العربية ان تتوحد في دولة واحدة، ولم تكن لديها قوة بحرية موحدة تستطيع مواجهة الاساطيل البحرية الاوربية (٤).

(١) الداود : الخليج العربي ص ٢٠٢.

(٢) العزي : الخليج العربي ص ٣٦.

(٣) طه : الصراع على الخليج ص ١٠٠.

(٤) المصدر السابق ص ٦١.

ومع هذا لم يقف الشعب العربي في الخليج من الاستعمار الاوربي موقف المتفرج او موقف اليأس والخضوع فقد قاوم الاستعمار الاوربي بكل قوة وضراوة وكثرت في الخليج العربي فعاليات القبائل العربية في بعض المناطق مثل بوشير وبندر ريق وخارج. وقد ظهر في هذه الاماكن رئيسان عربيان بامرة كل منهما اسطول قوي . وهذان الرئيسان هما مير مهنا حاكم جزيرة خارج وميناء بندر ريق القريب منها وشيخ سلمان رئيس قبيلة كعب . ومنذ اوائل العقد السادس من القرن الثامن عشر ، اصطدم مير مهنا بالانكليز . (١)

اما في الفترة بين ١٧٣٧ - ١٧٦٧ فقد تزعمت المقاومة العربية قبائل بني كعب. (٢) التي كانت تقيم في عربستان والضفة الغربية لشط العرب (٣). وقد توسعت هذه القبائل في مناطق الايرانيين يدعون حق السيادة عليها . كما اصطدمت بالقوات الانكليزية مرات عديدة الى درجة ان الانكليز كانوا يحاولون انهاء القتال مع «كعب» باي ثمن . وقد اعترف الانكليز ان خسائرهم مع كعب تفوق فوائدهم ومنافعهم التجارية في المنطقة . (٤) وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر بظهور القبائل العربية التي كانت مسيطرة على سواحل الكويت الشمالية وقطر والبحرين وهي قبائل شديدة البأس مقاتلة من بينها قبيلة القواسم (٥) التي تميزت بالصدام مع الدولة الاستعمارية بشكل دائم وكانت لهم سفن عديدة خاضت معارك كبيرة مع القوات البحرية البريطانية على سواحل الخليج العربي (٦) ومما زاد في قوتهم

---

(١) للتفاصيل انظر : عبد الامير محمد امين ، القوة البحرية في الخليج العربي ص ٣٧ وما بعدها

(٢) الداود : الخليج العربي ص ١٩ .

(٣) العزي : الخليج العربي ص ٢١ .

(٤) عبد الامير محمد امين : القوة البحرية في الخليج العربي ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥) عن القواسم انظر بالتفصيل : صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي

١٧٤٧ - ١٨٢٠ ، (بغداد ١٩٧٦) .

(٦) العزي : الخليج العربي ص ٢١ .

تحالفهم مع السعوديين فاخذوا يهاجمون السفن الانكليزية وغيرها فذاع صيتهم وصيت زعيمهم سلطان بن صقر الاول واتخذ الشارقة عاصمة له (١) .  
ولقد مثلت قوة القواسم البحرية ونشاطاتها الخليجية وضعا مربكا للمخططات البريطانية وتهديدا مباشرا لامن مواصلاتها البحرية . ولهذا فقد توجه اهتمام بريطانيا في الشرق من خلال شركة الهند الشرقية الانكليزية وبشكل متزايد منذ ١٨٠٥ وحتى ١٨١٩ لاختضاع هذه القوة العربية وتجريدها من سلاحها البحري (٢) . ولقد عبر عن ذلك جاك بيربي بقوله : ان القواسم نكدوا عيش بريطانيا طيلة قرن من الزمان (٣) ... كما اشار إلى دور المقاومة العربية للقبائل الاخرى في الخليج بقوله : انهم عرب اشداء مقاتلون بوسائل ولطالما ذادوا عن حياضهم وقاوموا الغزاة الذين حاولوا اغتصاب البلدان ايرانيين كانوا ام برتغاليين ام هولنديين ام فرنسيين ام انكليز (٤) .

استمرت المقاومة العربية في عمان ومسقط ضد الاسطول البريطاني واستبسل عرب الخليج في مقاومة الوجود الاستعماري وممارسة سيادتهم على بلادهم في عمان والساحل العماني والبحرين وظلت السيادة العربية على المنطقة حتى عام ١٨٠٢ م عندما دب الخلاف بين سعيد بن سلطان امير مسقط وسلطان بن صقر مما مكن الانكليز عام ١٨٠٦ م من القضاء على الاسطول العربي (٥) .  
حقيقة استطاعت بريطانيا منذ عام ١٨٣٩ من عقد هدنة مع روسيا ، وشيوخ القبائل العربية في الخليج والتي اطلق عليها « الهدنة البحرية » وكانت هذه بداية الهيمنة البريطانية التي يقدر لها ان تعيش حوالي قرن ونصف من الزمن والتي قدر ان ترى ايامها الاخيرة (٦) . ولاشك ان المنازعات الداخلية بين القبائل

(١) طه : الصراع على الخليج ص ٦٢ .

(٢) العابد : المصدر السابق ص ٦ .

(٣) طه : الصراع على الخليج ص ٦٦ .

(٤) طعمة : الخليج العربي في الاستراتيجيات الاستعمارية ص ١٠ .

(٥) طعمة : الخليج العربي ص ١٦ .

(٦) للنفاصيل انظر عبدالامير محمد امين : القوة البحرية في الخليج العربي من القرن الثامن

عشر (بغداد ١٩٦٦) ص ٤٠-٥١



العربية هي التي اضعفت القوى العربية المناوئة للنفوذ البريطاني وجعلتها تستسلم للسياسة التي فرضتها بريطانيا عليها ولقد انتهجت بريطانيا وصولا إلى احكام السيطرة على الخليج والجزيرة العربية سياسة ذات وجهين : الاول قائم على استغلال النعرات الطائفية والخلافات العشائرية والثاني : استخدام القوة العسكرية لقمع الحركات الثورية والتصدي للانظمة المعادية للوجود الامبريالي (١)

### الاستعمار الامريكي في الخليج العربي :

ظلت بريطانيا تعتبر نفسها حتى الحرب العالمية الثانية مسؤولة وحدها عن الدفاع عن الخليج العربي ، غير ان تلك الحروب لم تلبث ان خلقت وضعا جديدا فقد انتهى ذلك العهد الذي كانت فيه بريطانيا تعتبر الخليج منطقة نفوذها الخاص بسبب تزايد الوجود الامريكي في الخليج العربي .

لقد بدأ التحرك الامريكي في منطقة الخليج العربي بنفس اسلوب التحرك البريطاني فقد اخذت امريكا في سنة ١٨٣٣ م على عقد اتفاقية مع حاكم مسقط تحت ستار المودة والتجارة كما جاء في بنود الاتفاق ( ان تمنح حق المرور والاقامة لرعايا الولايات المتحدة في مسقط وتبيح ارسال الممثلين الامريكيين التجاريين وان تمنح مسقط لامريكا حق تعيين قنصل في البلاد الخاضعة لسلطان مسقط وذلك كمقدمة لممارسة استعمارها لاقطار الخليج العربي (٢).

الا أن النشاط الامريكي مع هذا لم يدخل منطقة الخليج الا في اوائل القرن الحالي على شكل بعثات تبشيرية خلال السنوات ١٨٩١ - ١٨٩٣ - ١٩١١ أو على شكل حملات استكشافية واخذت تزاحم الانكليز في اعمال البحث والتنقيب عن النفط باسم ( سياسة الباب المفتوح ) في الشؤون الاقتصادية ومن ثم امكن لبعض الشركات الامريكية في ظل تلك السياسة ان تحصل على امتيازات بترولية خاصة بها او مشاركة الشركات العالمية الاخرى المستغلة للنفط ، هذا

(١) منذر البكري واخرون : المصدر السابق ص ٣٣.

(٢) طعمة : الخليج العربي ص ١١.

لم يمنع امريكا من الحرص على التسليم لبريطانية بالتفوق في الشؤون السياسية (١) واتجهت الولايات المتحدة بكل ثقلها إلى ان تحل محل النفوذ البريطاني ، وكان اول صورة واضحة لهذا الصراع توقيع اتفاقية ارامكو (شركة النفط العربية الامريكية) في السعودية في ٣٠ / كانون اول / ١٩٥٠ م التي سيطرت بموجبها الاحتكارات الامريكية على حقول السعودية الغنية بالنفط ، وطردت النفوذ البريطاني نهائيا على ان هذا الصراع اتضح اكثر بعد تأميم النفط الايراني في ١٢ / ايار / ١٩٥١ م فالدكتور مصدق لقي تشجيعاً لعملية التأميم من لدن الدوائر الامريكية التي ماكانت تتصور ان تطور مسالة النفط في ايران لدرجة التأميم الكامل ، ومنذ ذلك التاريخ اسفرت المصالح الامريكية عن رغبتها في انتزاع النفوذ البريطاني في منطقة الشرق الاوسط (٢) وقد آثرت امريكا الا تدخل في صراع حاد مكشوف مع بريطانيا في محاولة لانتزاع السيطرة منها على الخليج فقد املت امريكا على الانكليز تسير المواصلات العسكرية الجوية والبحرية وتوفير المراكز المختلفة لها في مناطق النفوذ البريطاني(٣). وعلى هذا النحو بدأت منطقة الخليج العربي في اعقاب الحرب العالمية الثانية وكأنها منطقة تقاسم النفوذ فيها كل من انكلترا وامريكا ومن ثم دأبت الدولتان على تنسيق سياستها الدفاعية فيها حتى بدأ الامر وكأن امريكا بقاعدتها في الظهران وبمقر قيادتها البحرية في البحرين تتولى مهام الدفاع عن القسم الشمالي من الخليج بينما تتولى بريطانيا مهمة الدفاع عن القسم الجنوبي منه (٤).

(١) بدر الدين عباس : الخليج العربي ص ١٣ .

(٢) سيد نوفل : الخليج العربي ص ٧٧ .

(٣) طعمة : الخليج العربي ص ١٢ .

(٤) العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٣٣٠ .

لقد بدأ النفوذ الامريكى المباشر لمنطقة الخليج العربى منذ عام ١٩٢٤م  
وفى عام ١٩٥٨ م اتجه الاستعمار الامريكى وشركاته الاحتكارية بالبحث  
عن النفط فى المملكة العربية السعودية فى منطقة الاخساء خاصة ، وذلك  
نتيجة لتناقص الاحتياطي الامريكى من النفط وانسجاماً مع السياسة الامريكىة  
باجتاد مناطق نفطية خارج حدودها ، فأدى ذلك الى تفاقم التنافس الامريكى  
والبريطاني ، واستطاعت امريكا ان تشتري خدمات جون فيلي البريطاني  
الذي اقام بالجزيرة العربية ، واطلع على احوالها واستخدمته فى خدماتها  
فى نطاق سياستها فى منطقة الخليج العربى (١) .

وفى سبيل السيطرة الاستعمارية على الخليج العربى انتهج الاستعمارىون  
سياسة بعيدة المدى تعتمد بالاضافة الى الاحتلال المباشر- فى بعض مناطق  
الخليج وايجاد نوع من الاتفاقيات والمعاهدات لضمان وجودهم فى المنطقة -  
تنظيم الهجرة الاجنبية وعلى نطاق واسع بهدف خلخلة واقعها القومى ،  
وبذلك يمكن فى نظرهم عزل المنطقة عن المحيط العربى ومنع تحررها ووحدتها  
مع الاقطار العربية المجاورة (٢) .

برز التدخل الاستعماري الامريكى بصورة مكشوفة وباساليب العدوانية  
منذ عام ٤٧ - ١٩٤٨ م باقرار مشروع التقسيم والاعتراف بالكيان الصهيونى  
فى فلسطين وكان هذا التحول فى السياسة الامريكىة تجاه الوطن العربى تتجه  
لواقع تدهور الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى ورغبة الامبريالية الامريكىة  
ملء ماسموه بـ ( الفراغ الغربى ) وان قيام الثورات العربية فى الوطن العربى  
خلال مرحلة الخمسينات كرد فعل للواقع العربى الذى عاشته الامة العربية  
اثر قيام الكيان الصهيونى اجرت الامبريالية الامريكىة تغييراً فى سياستها تجاه  
اقطار الوطن العربى عامة والخليج العربى خاصة لوجود النفط فيه والذي  
يعتبر عنصراً خطيراً من عناصر الصراع الدولى (٣) .

(١) طعمة : الخليج العربى ص ١٢

(٢) العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٣٣٠

(٣) نوفل : الخليج العربى ص ٨٨ - ٩٦

وخلال مرحلة الستينات بذلت القوى الامريكية والبريطانية جهوداً واسعة لترتيب اوضاع الخليج العربي بشكل جديد ظاهره الانسحاب البريطاني المباشر ومنح الاستقلال للامارات العربية وباطنه احكام السيطرة الاقتصادية والعسكرية على هذه المنطقة ( عن طريق المعاهدات والاتفاقيات ) لاحتواء هذه المنطقة بضمنها العراق والسعودية والكويت على اكبر مخزون للطاقة في العالم قد جعلها وبعد تفاقم ازمة الطاقة من اهم المناطق واكثرها حساسية بالنسبة لامبريالية لانها تشكل قضية استراتيجية كبرى تتصل اتصالاً وثيقاً وخطيراً بموقع الامبريالية وخاصة الامريكية في الصراع الدولي . وبمصلحتها الجوهرية كما تتعلق ايضاً بمصير العالم الغربي (١) .

وفي اعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧ م اعلنت بريطانيا من جانبها عن عزمها على سحب جميع قواتها من شرق السويس ضمن برنامج يهدف إلى خفض نفقات قواتها العسكرية نتيجة الازمة الاقتصادية البريطانية أثر انخفاض الجنيه الاسترليني فقد اعلنت عزمها على الانسحاب من الخليج العربي في مدة اقصاها بداية عام ١٩٧١م (٢) وفي مقابل ذلك يتم تشكيل حلف دفاعي قوامه تركيا والكويت والباكستان والسعودية وايران وامريكا لسد فراغ القوات البريطانية . وهنا برزت بوادر التامر الامريكي بدعوة ملء الفراغ والحفاظ على أمن المنطقة وقد هاجم الاتحاد السوفيتي هذا الادعاء كما ان تركيا رفضت فكرة الانضمام إلى الحلف الدفاعي ، واكدت وزارة الخارجية الباكستانية ان ليس لها الرغبة في الدخول في اى حلف ، كما اعلنت الكويت بانها تقف ضد الاحلاف ، وهاجمت الاقطار العربية الاخرى فكرة ملء الفراغ المزعوم ، وعلى أثر ذلك ظهرت فكرة اتحاد الامارات العربية الذي قوبل برضى جميع الاقطار العربية (٣) ومنها اقطار الخليج العربي ، لم تكن الولايات المتحدة تجهل عزم بريطانيا

(١) التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي ص ٩٠

(٢) محمود بهجت ستان : الشخصية العربية في الخليج ص ٨٥

(٣) الجنابي : من تاريخ الخليج العربي ص ١١٣

هذا فقد صرح ولسن رئيس وزارة بريطانية بأنه سيبلغ الرئيس الامريكى جونسون عن عزم بريطانيا عن سحب قواتها من منطقة شرقي السويس وستتم هذه الخطوة تجنباً لحدوث الفراغ العسكري في المنطقة ، ومراعاته لانشغال الولايات المتحدة في حرب فيتنام وقد صرح وزير الخارجية الامريكية روستو في العشرين من كانون الثاني ١٩٦٨م بأنه يجري في الوقت الحاضر اتخاذ الاجراءات اللازمة لملء الفراغ الذي يتركه انسحاب القوات البريطانية من شرق السويس ... وان الاجراءات التي اتخذت من اجل عقد اتفاق للامن يتم بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية وبريطانية وبعض الدول الاخرى في منطقة الخليج لتتولى مسؤولية اقرار الامن الاقليمي لمنطقة الخليج العربي (١) وقد كشف الانسحاب البريطاني عن المخطط الاستعماري الرامي إلى السيطرة على بعض اجزاء الخليج العربي (٢).

وقد عبر ماشفيلد عن فكرة ملء الفراغ بقوله : ( انه يجب على الولايات المتحدة ان تملأ الفراغ العسكري الذي سيكون بعد ان تسحب بريطانيا قواتها ) (٣). وبهذا الشكل حاول السياسيون الامريكيون الاستناد إلى ( الفراغ ) إلى نظرية مخصصة لتبرير تدخل الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى. وحتى التدخل المسلح فيها ، وبهذه النظرية ايضاً تعتمد الولايات المتحدة ان بإمكانها فرض سيطرتها على العالم كله علماً بأنه لم يكن هناك اى فراغ الا بالمنطق الاستعماري وحده .

مما تقدم يتضح ان النفط العربي يلعب دوراً مزدوجاً في قوة وجبروت العالم الرأسمالي واحتكاراته بوصفه يقدم المادة الاستراتيجية الحيوية والاموال الضخمة ، وازاء ذلك تقف الشركات موقف المسيطر المتحكم من المنطقة نتيجة لاتحادها في كارتل نفطي احتكاري لمواجهة وضرب نشاط الدول المنتجة للنفط ( الاوبك ) (٤).

(١) طعمة : الخليج العربي ص ٥٦

(٢) بدر الدين عباس : الخليج العربي ص ١٣ .

(٣) الجنابي : من تأريخ الخليج العربي ص ١٢٠ .

(٤) مجلة نفط العرب - العدد السابع - نيسان - ١٩٧١ .

وتتضح لنا هذه الحقيقة اذا علمنا ان الامريكان استخرجوا من نفط الخليج سنة ١٩٧٠ ما يعادل (١٣٠) مليون طن ثم ان (٥٥) من النفط المستخرج في اربع اقطار عربية وهي العراق والكويت وليبيا والسعودية سنة ١٩٧٠ يعود لشركات احتكارية امريكية عاملة في هذه الاقطار اذ حصلت هذه الشركات لوحدها ارباحاً بلغت ١٠٧٩ مليون دولار كما لجأت الدول الراسمالية ذات المصالح في الخليج العربي إلى التركيز عسكرياً في المنطقة فأنشأت القواعد العسكرية والمطارات واقامت الاحلاف (١) لضمان وجودها في المنطقة .

غير ان تلك القوة عليها ان تدرك ان شعب الخليج بالرغم من ظروفه العصبية التي يمر بها وعلى الرغم من المرحلة الحرجة التي تمر بها الامة العربية قادر على ملء مايسمونه بالفراغ عن طريق وحده الارض والشعب في اطار ثورية القومية العربية والوحده وقادرة على ان تثبت وجودها كأمة تستطيع ان تحدد مصير العالم اذا ما حاولت يوماً ايقاف تدفق النفط العربي فستجعل اوربا والعالم يقف على حافة الهاوية بتوقف مصانعهم واساطيلهم وسيقدر للامة العربية ان تفرض ارادتها وتستعيد قوتها ومكانتها الدولية .

---

(١) الاستراتيجية الانكلوامريكية ص ١٠ ، ص ١٣ .

( المصادر )

- اعلام وزارة الاعلام  
١ - الاستراتيجية الانكلو امريكية ومرتكزاتها في الخليج العربي  
بغداد ١٩٧١ .  
أمين عبد الأمير محمد  
٢ - ( دور القبائل في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي )  
محاضرة المؤتمر الدولي للتاريخ . بغداد ١٩٧٣ .  
الاشتراكي البعث العربي  
٣ - التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن  
مطابع دار الثورة كانون الثاني ١٩٧٤ .  
البكر منذر البكر  
٤ - ( صور من المقاومة العربية للأطماع الأجنبية في الخليج العربي )  
محاضرة المؤتمر الدولي للتاريخ بغداد ١٩٧٣ .  
الجنابي داود محمد  
٥ - ( من تاريخ الخليج العربي )  
مطبعة الكلية العسكرية بغداد / ١٩٧٣ .  
حسن جاسم محمد ، العراق في العهد الحميدي ، رسالة ماجستير  
قدمت لجامعة بغداد وهي غير منشورة  
الخصوصي بدر الدين عباس  
٦ - ( الخليج العربي والمطامع الاستعمارية )  
بحث مقدم للمؤتمر الدولي للتاريخ والآثار بغداد / ١٩٧٣ .  
الداود محمود علي  
٧ - ( الخليج العربي والعلاقات الدولية )  
دار المعرفة/القاهرة  
٨ - ( أحاديث عن الخليج العربي )  
منشورات وزارة الاعلام / بغداد .

- زكريا جمال  
 ٩ - ( الخليج العربي ) دراسة لتأريخ الامارات العربية ( ١٨٤٠ -  
 ١٩١٤ ) مطبعة جامعة عين شمس القاهرة/١٩٦٦ .
- سنان محمد بهجت  
 ١٠ - ( الشخصية العربية في الخليج )  
 مطبعة الشعب بغداد/١٩٧٢ .
- ١١ - ( البحرين درة الخليج العربي )  
 دار الفكر بدمشق/١٩٦٢ .
- طعمة هادي  
 ١٢ - ( الخليج العربي في الستراتيجيات الاستعمارية والبريطانية  
 خاصة ) منشورات وزارة الاعلام بغداد / ١٩٧١ .
- طه سليم  
 ١٣ - ( الصراع على الخليج العربي )  
 وزارة الاعلام بغداد / ١٩٦٦ .
- العابد صالح محمد  
 ١٤ - ( دور القواسم في الخليج العربي )  
 مطبعة العاني بغداد / ١٩٧٦ .
- العزى خالد  
 ١٥ - (الخليج العربي في ماضيه وحاضره )  
 مطبعة الجاحظ بغداد / ١٩٧٢ .
- العقاد صلاح الدين  
 ١٦ - ( التيارات السياسية في الخليج العربي )  
 مكتبة الانجلو المصرية القاهرة / ١٩٦٥ .
- ١٧ - ( الاستعمار في الخليج العربي )  
 محاضرة القايت في المؤتمر الدولي للتاريخ والاثار بغداد / ١٩٧٣ .



- لوريمر  
النجمار  
١٨ - ( دليل الخليج ) القسم التاريخي ( مترجم )  
مصطفى عبد القادر
- ١٩ - ( مقالة ) مجلة الخليج العربي ، العدد الثالث / ١٩٧٥  
نوفل سيد
- ٢٠ - ( الخليج العربي ) او الحدود الشرقية للوطن العربي  
مطبعة دار الطليعة / بيروت ط ١ / ١٩٦٩ .  
اليوزبكسي توفيق سلطان
- ٢١ - ( دراسات في الوطن العربي ) الحركات الثورية والسياسية  
مطبعة جامعة الموصل / ط ٢ / ١٩٧٥ .
- ٢٢ - ( مجلة نفط العرب )  
العدد السابع نيسان / ١٩٧١ .
- 23- Abdul Amier Amin.  
British Interist in The Persian Gulf.  
(Leden 1967) .
- 24- Dkumor Ravider.  
India and Perainn Gulf 1858-1907  
(India 1965).
- 25- J.B. Kelly.  
Britain and The Persion Gulf.  
1795-1880. (Oxford 1968 ) .
- 26- Britain and the Foreign state Papers,  
1877-1878, (London, 1885), P. 1314

